مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 40- عدد 1 (2024): 421-437

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 40No.1 (2024):421-437

حماسة الظرفاء بين المحاكاة والتميز

د.سامة محمد سليم حبَّاس[1]

1- مدرِّسة المكتبة العربيّة(مصادر التّراث العربي)، قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة دمشق. habbas@damascusuniversity.edu.sy

المُلَخَّص:

حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء" للعبدلكاني الزوزني" واحد من كتب الاختيارات الشعرية المعروفة بالحماسات، حاكى فيه صاحبه أول كتاب عرف بهذه التسمية، ألا وهو"حماسة أبي تمام".

فقد شابهه في أمور سمحت له أن يسمى باسمه، وخالفه في أخرى أكسبته طابعا فريدا وخصوصية مميزة تجلت فيما أضاف إليه مصنفه من موضوعات تستحق تسليط الضوء عليها لنتبين أسباب إدراجها، والهدف منها، ولنتلمس مواطن التميز فيها، لما لها من دور في جعل الكتاب ذي مكانة فريدة في مكتبتنا العربية، أغنت هذا النوع من التأليف ووسعت مضمونه، فكان أثرا متفردا له نكهته الخاصة وبريقه المميز.

الكلمات المفتاحية: العبدْلَكَاني الزَّوزني، كتب الاختيارات الشّعرية، الحماسات، أبو تمّام، المكتبة العربية.

تاريخ الإيداع:2023/05/21
تاريخ القبول:2023/07/23

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Hamasat Al Zurafaa between Similarity and Unique

Dr. SamaMuhammad Salim Habbas[1]
1- Dr. of the Arabic Library (The Sources of Arab Heritage) at the Faculty of Arts and humanities sciences – Department of Arabic Language – Damascus University.

abstract:

Hamasat Al Zurafaa by Al Abd Lakani Al Zawzani is one of the Poetic selective books known as "Enthusiasm" in this book the author imitated the Hamasa of Abu Tammam, which was the First book labeled with the name, "Hamasah".

The author followed Abu Tammam's style it's an extent that entitled the book its gain the same label.

However, he differed from his style in many other aspects which made his book unique and special.

These characteristics manifested in the subjects the author added, which are worth shedding light on to reveal the reasons behind them and the purpose of them, in order to touch the distinctive areas, which played a role in classifying the book as special and unique , in our Arabic library.

This "Hamasa" enriched this kind of writing, and widened its range, so that it became a unique work with special flavor and distinguished glamour.

Received: 21/05/2023
Accepted: 23/07/2023

Keywords: AL Abd lakani ALZawzani, Poetic selective books, Hamasat,Abu Tammam, Arabic library.

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

التمهيد:

يتناول البحث دراسة (حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء) للعبدلكاني الزوزني، أحد (كتب الاختيارات الشعرية– الحماسات–) معرفا به، محللا له شكلا ومضمونا، مدعما ذلك بالشواهد الموضحة مع موازنة تفصيلية ترصد مواطن الاختلاف والتشابه بينه وبين كتاب (الحماسة الكبرى) لأبي تمام–الذي اقتدى به العبدلكاني وقلده وسار على خطاه مشيرا إلى هذا في مقدمته–لذا كان تحديد دراسة أوجه المحاكاة والتميز معه فقط– خاصة أنه أول مصنف في هذا النوع من التأليف– بالاعتماد على المناهج المناسبة من وصفي وتحليلي واستنتاجي، سعيا لبلوغ الغاية المرجوة وتحقيق ما يرنو إليه البحث.

وعليه كان الاكتفاء فقط بالإشارة إلى ما عداه من حماسات، للتنويه بها دون عقد موازنة تفصيلية لا يتسع لها مجال البحث، لاسيما أن مؤلفيها أجمعوا على تأثرهم بأبي تمام، مبينين أنهم نهجوا نهجه واقتدوا بصنيعه.

وبملاحظة تباعد المدة الزمنية بين تصنيف الكتابين، تكون الدراسة بذلك مبينة لجانب من جوانب تطور التأليف في الحماسات خلال قرابة قرنين من الزمن؛ مما يظهر بوضوح أكبر منزلة هذين الكتابين في تراثنا العربي، والتركيز بدقة أكبر على مدى اتصال هذا النوع من التصنيف بالحركة النقدية التي نشطت في ذلك الوقت، ودرجت مواكبته لها، والتأكد إذا ما كان النقد حينذاك داعيا من دواعي ظهور الحماسات، التي انبثقت فتحا جديدا في حركة التأليف العربي ومسيرة النقد الأدبي، مجسدة بصورة مصغرة محددة بين هاتين الحماستين.

لا بد قبل الشروع في الحديث عن "حماسة الظرفاء" من تعريف هذا النوع من التأليف.

تعريف الحماسة لغة واصطلاحا:

الحماسة لغة: تدل أصلا على الصلابة والشدة، والفعل حمس: اشتد وصلب في الدين أو القتال، فهو حمس وأحمس والجمع حمس، والحماسة الشجاعة، والأحمس الشجاع، ويقال عام أحمس أي شديد، وسنة حمساء أي مجدبة، والحماسة أيضا المنع والمحاربة، حامس القوم تحامسا وحماسا: اقتتلوا[1].

الحماسة اصطلاحا: هي كل ما قيل من شعر أو نثر في موضوع الشجاعة والإقدام.

كتب الحماسة:

وقد أطلقت تسمية (الحماسة) على نوع من (الاختيارات الشعرية) التي عرفت على يد الشاعر أبي تمام.

فالحماسات نوع معروف من التأليف أطلق على كتب من الاختيارات الشعرية حوت أشعارا رتبت في أبواب وفق الأغراض الرئيسة للشعر، أولها باب الحماسة الذي باسمه سمي كل كتاب ألف على هذا النهج.

ويقصد بالحماسة هنا: كل ما قيل من شعر في موضوع الشجاعة والإقدام والفروسية ووصف القتال والحرب والنزال، ولقاء الأعداء والاستهانة بالموت، والكر والفر وما إلى ذلك من المعاني الحماسية.

وقد بدأ هذا التصنيف (أبو تمام) حبيب بن أوس الطائي الشاعر العباسي المشهور؛ فكانت حماسته[2] فاتحة هذا النوع من التأليف ثم نهج نهجه في ذاك آخرون، فكانت سلسلة من الاختيارات الشعرية عرفت باسم(الحماسات) التقت في جوانب وافترقت في أخرى.

---

(1) مادة (حمس) في كل من المجمل – ابن فارس 251/1، لسان العرب – ابن منظور 57/6، القاموس المحيط – الفيروز أبادي 208/2، معجم الوسيط – إبراهيم أنيس ورفاقه 197/1.

(2) ديوان الحماسة –أبو تمام حبيب بن أوس الطائي – شرح المرزوقي.

نذكر منها بعد حماستي أبي تمام الكبرى والصغرى، حماسة البحتري، حماسة الخالديين، حماسة ابن الشجري، الحماسة البصرية، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء لأبي محمد بن عبد الله العبدلكاني الزوزني.

حماسة الظرفاء:

هذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجم لمؤلفه، كما لم تذكره الكتب التي اهتمت بالفهرسة، حتى بروكلمان لم يذكره ولم ينوه به حين عدد الحماسات بعد حماسة أبي تمام.

في مقالة له، وانتهى إلى أنه لم يتعرفH.R وأول من عرف الكتاب من المعاصرين المستشرق الألماني (هلموت ريتر) على مؤلف[1]، وجاء بعده محقق الحماسة البصرية (مختار الدين أحمد) وانتهى إلى ما انتهى إليه ريتر[2].

والجدير بالذكر قبل الشروع بالحديث عن الزوزني وحماسته أن ننوه باعتماد المحققين لكتاب الحماسة المطبوع على النسخة المخطوطة المحتفظ بها في جامعة إسطنبول، فقد حقق جزأين منها (محمد جبار المعيبد)[3] ببغداد ولم يمهله العمر بإصدار الثالث على الرغم من أنه قد أتم تحقيقه، ثم قام (خليل عمران المنصور)[4] بلص(بسرقة)التحقيق كاملا ـ مع مصادره النادرة ـ من دون إشارة إلى المعيبد مع نشر الجزء الثالث؛ ومما يؤكد ذلك كثرة الشروح والتخريجات في الجزأين الأولين في حين أن الجزء الذي حققه المنصور كان فقيرا جدا بها.

وجاء من بعدهما (د. محمد بهي الدين سالم)[5] بالقاهرة ليحقق الكتاب كاملا في مجلدين مشيرا إلى فضل المعيبد وجهوده وافادته منه، وهي النسخة التي اعتمدت في توثيق هذا البحث.

دلالة تسمية الكتاب:

أمّا التّسمية بالحماسة فلأنه أول الأبواب من قبيل تسمية الكلّ باسم الجزء، فَوَسْمُ الشيء بأوله معروفٌ مقرّرٌ ممّا جعل العبد لكاني يعتمده كسابقيه، وعن اختياره لكلمة الظرفاء الدالة على العديد من الخصال اللطيفة من بلاغة اللسان وعذوبة المنطق وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح، فيبدو أنها تحاكي خفة ظله وروحه المرحة، مما دفعه لإلحاق هذه الصفة بشعراء حماسته المميزين، وأما قوله (من أشعار المحدثين والقدماء)، فأمر طبيعي أن يسعى العبدلكاني للإحاطة بقديم الشعر وحديثه وأن يجوب حدائق هؤلاء جميعا من معاصريه وسابقيه حتى تدب الحياة في أوصال كتابه.

ترجمة العبدلكاني الزوزني:

مع أن (العبدلكاني) ت431هـ قد عاش في فترة أدبية خصبة إلا أنه لم يعرف عنه وعن شعره إلا ما جاء به معاصره الثعالبي (ق4– ق5 هـ)، وما ذكره الباخرزي والكتبي من نزر يسير.

فهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن العبدلكاني الزوزني – نسبة إلى آل عبدلكان ونسبة إلى مدينة زوزن[6] – لا تعرف سنة ولادته ولا مكانها، والغالب أنه ولد (بزوزن) ونسب إليها ثم انتقل إلى مدن فارس الأخرى حسبما تشير إليه شهرته فهو فرع من

(1) دليل مصورات معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية– القاهرة.

(2) مقدمة (الحماسة البصرية) 16

(3) حماسة الظرفاء– تحقيق الأستاذ محمد جبار المعيبد– وزارة الإعلام العراقية 1973 م.

(4) حماسة الظرفاء– تحقيق خليل عمران المنصور– دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان 2002م

(5) حماسة الظرفاء– تحقيق محمد بهي الدين سالم– دار الكتاب المصري – القاهرة / بيروت 2003م

(6) زوزن: معجم البلدان، ياقوت الحموي– مادة (زوزن) بفتح أولها وضمه والفتح اشهر وهي كورة واسعة بين نيسابور وهراة، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء والعلماء.

شجرة علم وارفة الظلال حازت شهرتها في اللغة والأدب والنحو.

عرف العبدلكاني بشدة الذكاء والظرف، فقد كان راوية مكثرا وشاعرا مطبوعا، حسن الكلام، سريع البديهة، حلو الحديث، حاضر الجواب، كثير المنادر والمضاحكة، واسع الثقافة، محبوبا لدى الخاصة من الأمراء والملوك؛ ينادمهم ويعلم أولادهم، واشتهر بغزارة علمه حتى قيل فيه "كان عالما مختصرا".

وقد التقى به الثعالبي–كما ذكر في اليتيمة – في دار الأمير(أبي الفضل الميكالي) وهو من أمراء خراسان وكتابها وشعرائها الذي كان على صلة وثيقة بالثعالبي فأهداه كتاب اليتيمة، وقد توفي الأمير سنة 436هـ.

وفي دمية القصر جاء ذكر العبدلكاني في أكثر من موضع بمسمى "الأستاذ أبو محمد العبدلكاني"، قال الباخرزي: "أدركته وأنا بزوزن سنة سبع وعشرين شيخا شابه الظرف يأتي دائما مكتحل الطرف، وقد هم أن يلتقي طرفاه قصرا، وقد كاد يكون من غزارة علمه عالما مختصرا"، وفي فوات الوفيات للكتبي يقول معرفا بالعبدلكاني: "أديب شاعر، طريف الجملة خفيف روح الشعر، كثير الملح والظرف".[1]

إذن العبدلكاني رجل عالم من علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين، ذو شخصية محببة مؤثرة، كما أنه شاعر له أشعار كثيرة في شتى الأغراض الشعرية، وله بصر بنقد الشعر مما جعل اختياره للأشعار التي أوردها في كتابه اختيارا يغلب عليه حس الشاعر المرهف والأديب الناقد مما يستحق الدراسة والتمحيص.

مضمون الكتاب ومنهجه:

تبدو لنا روح العبدْلَكَاني اللّطيفة المرحة من عنوان حماسته " الظُّرفاء " هذا العنوان الذي وضعه ليعبّر به عن شخصيته التي مالت إلى الطّرافة والظّرف قاصداً اختيار الشّعر السّهل المُحبّب للنّفوس بهدف التّيسير على المتأدّبين الذين قام على تعليمهم منتقياً لهم شعراً ذا لفظٍ محببٍ إلى أسماعهم، قريبٍ إلى أذهانهم؛ فنراه يقول في مقدمة حماسته:" شحن –أدام الله عزّك– أبو تمّام الطّائي رحمه الله كتاب الحماسة بأشعارٍ ألفاظُ مُعظمِها غرائب، وتحتها من معانيها عقارب. وأهل زماننا في السّهل القريب أرغب، لأنه من الأفهام أقرب.

فجمعتُ في كتابي هذا من مُختار الشّعر ومنتقاه ما يقرب من أبيات كتابه، في أبوابٍ كعدد أبوابه؛ ليكون للمبتدئ تخريجاً، وإلى كتاب الحماسة تدريجاً، فإنّ الأدب درجاتٌ، فمن كان حقّه أن يقف عند أدناها، فرَامَ الارتقاء إلى أعلاها لم يعدَمْ سقوطاً يؤدّيه إلى الضّلال والتّحير، ويُلقيه في وادي الإدبار والتأخّر؛ فمن سقط من معراج الخشب اندقّ عظمه، ومن سقط من معراج الأدب ضلّ فهمه، وفَتَرَ في الاستفادة والاستزادة رغبتُه وعزمُه.

والفضل للسّابق المبتدي، وإن اجتهد التّابع المقتدي. وسمّيته كتاب (حماسة الظُّرفاء من أشعار المحدثين والقدماء) والله الموفق وهو حسبي ونعم الوكيل" [2].

وقد قسم العبدلكاني حماسته إلى (10) عشرة أبواب، تماما كمل فعل أبو تمام وبدأها بباب الحماسة، مشابها له في عددها وفي تسمية معظمها، وهي على التوالي:

1) باب الحماسة. 2) باب المراثي. 3) باب الأدب والحكمة. 4) باب الكبر والشيب. 5) باب النسيب. 6) باب الهجاء. 7) باب المديح والاستعطاف والاعتذار. 8) باب الأضياف والسخاء واصطناع المعروف. 9) باب الوصف. 10) باب الملح والأشياء المستظرفة.

(1) ترجمة العبدلكاني الزوزني بتصرف عن: يتيمة الدهر للثعالبي 347/4، دمية القصر الباخرزي 273، فوات الوفيات الكتبي 495/1، الأعلام الزركلي 121/4.

(2) حماسة الظرفاء، تحقيق د. محمد بهي الدين سالم 99/1، 100.

فمن هذا التّقسيم وفق الأغراض الشّعرية يبدو لنا أنّ العبدلكاني وافق أبا تمّام في جُلّ أغراضه وبدأ كتابه بباب الحماسة فجمع الأدب والحكمة في بابٍ واحدٍ، كذلك فعل في باب المديح والاستعطاف والاعتذار، ثم أيضاً في باب الأضياف والسّخاء واصطناع المعروف، وأغفل مذمّة النّساء لأنها من باب الهجاء، ذاكراً اقتداءه بأبي تمّام وإفادته منه معترفاً بفضله وسبقه في هذا الميدان، لكنّ ذلك لم يمنعه من أنْ ينهج نهجاً مختلفاً عنه عندما ألزم نفسه بالبَدءِ في كلّ بابٍ بقطعةٍ شعريةٍ لشاعرٍ جاهليٍّ أو مخضرمٍ مأخوذةٍ عن الأصول القديمة الموثّقة مثل المفضّليات أو الأصمعيات أو حماسة أبي تمّام، ثم تدرّج بذكر الشّعراء وهكذا...

مثال ذلك ما بدأ به باب الحماسة من قول الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي[1]: [الوافر]

أَنـــا ابْـــنُ جَـــلَا وطَـــلّاعُ الثَّنايَـــا مَتَـــى أضَـــعُ العِمَامَـــةَ تَعْرِفُـــوني
صَـــليبُ العُـــودِ مِـــنّ فَرْعَـــيْ نِـــزَارٍ كَـــرِيمُ الأَصْـــلِ وَضّـــاحُ الجَبـــينِ[2]

ومنه أيضا في الباب ذاته قول جحدر بن أبي ضبيعة[3]: [الطويل]

أَقِلِّـــي عَلـــيَّ اللّـــومَ ســـاحبَةَ الـــذَّيْلِ فَلابُـــدَّ أَنْ يُســـتَطْرَدَ الخَيْـــلُ بالخَيْـــلِ
إذا مـــا رَأيـــتُ الفَقْـــرَ يـــزْدادُ شِـــدَّةً رَفضْـــتُ الهُوَيْنـــا وادَّرَعْـــتُ دُجـــى اللَّيْـــلِ
لِأجمَـــعَ مـــالاً أو تَقُـــومَ نوائِحـــاً علـــيَّ نســـاءُ الحَـــيِّ يَصـــرُخْنَ بالوَيْـــل[4]

وكذلك قول العباس بن عبد المطلب[2]: [الطويل]

أَبَـــى قَوْمُنـــا أَنْ يُنْصِـــفُونا فَأَنْصَـــفَتْ قَواطِـــعُ فـــي أَيْمَانِنـــا تَقْطُـــرُ الـــدَّما
إذا خالَطَـــتْ هَـــامَ الرِّجـــال تَرَكْنَهـــا كَبَـــيْضِ نَعـــامٍ فـــي الفَـــلا قَـــدْ تَحَطَّمـــا
قَتَلْنـــا أبـــا عَمْـــروٍ خِدَاشـــاً بِعَـــامِرٍ وَمِلْنَـــا علـــى رُكْنَيْـــهِ حتَّـــى تَهَـــدَّما[6]

ومما جاء في باب المراثي قول حسان بن ثابت[7]: [البسيط]

يالَيْـــتَ شِـــعْرِي وليـــتَ الطيـــرَ تخبرُنـــي مـــا كـــانَ شـــأنُ علـــيٍّ وَابـــنِ عفّانـــا
لَتَســـــمعُنَّ قريبـــاً فـــي ديـــاركُمُ اللّـــهُ أكْبَـــرُ، يـــا ثَـــارَاتِ عُثْمانَـــا
ضـــحَّوْا بأشـــمطَ عنـــوانُ الســـجود بِـــهِ يُقَطّـــع اللّيـــلَ تســـبيحاً وقرآنـــا[8]

(1) شاعر مجيد من شعراء الجاهلية والإسلام غلبت عليه البداوة والخشونة – الأعلام 79/3
(2) حماسة الظرفاء 1 / 103
(3) شاعر جاهلي مقل واسمه ربيعة وسمي جحدرا لقصره وهو من فرسان العرب في عصره – الأعلام 113/2
(4) حماسة الظرفاء 1 / 107
(5) عم النبي عليه السلام من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وأجودهم وأحسنهم لقومه الأعلام 263/3
(6) حماسة الظرفاء 119/1
(7) شاعر النبي عليه السلام صحابي عاش في الجاهلية والإسلام –الأعلام 175/2 –176
(8) حماسة الظرفاء 203/1 – (الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض)

ومن باب الأدب والحكمة قول الأضبط بن قريع السعدي[1] : [المنسرح]

قـــد يَجمَـــعُ المـــالَ غيـــرُ آكِلِـــهِ ويأكـــلُ المـــالَ غيـــرُ مَـــنْ جَمَعَـــهْ
فاقبَـــلْ مِـــنَ الـــدَّهرِ مـــا أتـــاكَ بِـــهِ مَـــنْ قَـــرَّ عينـــاً بِعَيْشِـــهِ نَفَعَـــهْ
لا تَحْقِـــرَنَّ الفقيـــرَ علَّـــكَ أَنْ تَرَكَـــعَ يومـــاً والـــدَّهرُ قَـــدْ رَفَعَـــهْ[2]

ومن باب النسيب قول قيس بن ذريح[3]: [الوافر]

فَوَاكَبـــــدَا عاودَنِـــــي رُداعِـــــي وكـــــانَ فِـــرَاقُ لُبْنـــى كالخِـــداعِ
فأصـــبحتُ الغَـــداةَ ألـــومُ نفْسِـــي علـــى أمـــرٍ ولـــيسَ بمُسْـــتطاعِي
كـــمغبُونٍ يَعَـــضُّ علـــى يديْـــهِ تـــبيَّنَ غَـــبْنَهُ بعـــدَ البِيَـــاعِ[4]

ومن مطلع باب المديح قول كعب بن زهير[5] : [البسيط]

إنَّ الرَّســـولَ لَنُـــورٌ يُستضـــاءُ بِـــهِ مهنَّـــدٌ مِـــنْ ســـيوفِ الله مســـلولُ
فـــي عُصـــبةٍ مـــن قـــريشٍ قـــال قـــائلهُمْ بـــبطنِ مكـــةَ لمَّـــا أســـلَمُوا زُولُـــوا
زالُـــوا فمـــا زالَ أنْكـــاسٌ ولا كُشُـــفٌ عنـــدَ اللِّقـــاءِ ولا مِيـــلٌ معازيـــلُ
نُبِّئـــتُ أنَّ رســـولَ الله أوعَـــدَني والعفـــوُ عنـــدَ رســـولِ اللهِ مـــأمولُ
مهـــلاً هـــداكَ الَّـــذي أعطـــاكَ نافِلـــةَ ال قـــرآنِ فيـــه مـــواعيظٌ وتفصـــيلُ[6]

ومن باب الأضياف قول طرفة بن العبد [7]: [المتقارب]

يَـــدَاكَ يَـــدٌ بالنَّـــدى ســـمحةٌ وأُخـــرى لِأعـــدائِها رافِضَـــة
تَجُـــودُ فتجـــزِلُ قبـــلَ السُّـــؤالِ وكَفُّـــكَ أســـمحُ مِـــنْ لافِظَـــهْ[8]

(1) شاعر جاهلي أساء قومه إليه فانتقل عنهم إلى آخرين –الأعلام 334/1
(2) حماسة الظرفاء 270/1
(3) من شعراء العصر الأموي اشتهر بحب لبنى – الأعلام 206/5
(4) حماسة الظرفاء 6/2 – الرداع بضم الراء: الوجع في الجسد أجمع وقيل النكس في المرض، البياع: بكسر الباء المبايعة.
(5) شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام اشتهر بلاميته بانت سعاد ... الأعلام 226/5
(6) حماسة الظرفاء 135/2–أنكاس جمع نكس الرجل الضعيف أو الجبان، كشف: جمع أكشف من لاترس معه ميل: جمع أميل وهو من لا يحسن ركوب الفرس، معازيل: جمع أعزل من لا سلاح له، نافلة: العطية.
(7) شاعر جاهلي قتل شابا في العشرين من عمره اشتهر بمعلقته لخولة أطلال... الأعلام 225/3
(8) حماسة الظرفاء 240/2

ولم يقتصر العبدلكاني في اختياراته الشعرية على الجاهلية والإسلام ملتزما زمنا محددا كما فعل أبو تمام، الذي اعتمد ذلك مكتفيا بإيراد القليل من شعر بعض أشهر معاصريه من الشعراء العباسيين، في حين تميز العبدلكاني عنه بإيراده الكثير من شعر معاصريه ولعلي به يقصد بذاك إضفاء صفة الجودة على أشعار زمانه وأنها لا تقل قيمة عن أشعار السابقين من شعراء الجاهلية والإسلام، ليذكر الباحثين والمهتمين بهؤلاء وتفوقهم مظهرا ذاك بكل حيادية وموضوعية، بعيدا عن التعصب لشخصية معينة، واعطاء كل شاعر من الشعراء حقه كما يقتضي المقام والدراسة السوية معترفا بفضل السبق للمتقدمين من جاهليين ومخضرمين واسلاميين، دون أن يمنعه هذا من إبراز مكانة المتأخرين أيضا واجادتهم وجودة أشعارهم، وتأكيده على أن معيار الفضل للمتقدم منهم أو المتأخر هو في الإجادة دون انحياز لشاعر بعينه أو لعصر بذاته.

ومثال ذلك ما أورده في باب الحماسة كقول بشار بن برد [1]: [المتقارب]

إذا أيْقظَتْـــكَ حـــروبُ العِـــدَى فنبِّـــهْ لهـــا عَمْـــراً ثُـــمّ نَـــمْ
فتـــىً لايبيـــتُ علـــى غـــرَّةٍ ولا يشـــربُ المـــاءَ إلّا بِـــدَمْ[2]

وقول البحتري[3]: [البسيط]

ومـــا السَّـــيفُ إلَّا بَـــزّ غـــادٍ لزينـــةٍ إذا لَـمْ يَكُـنْ أمْضَـى مِـنْ السَّيْفِ حَامِلُـهْ[4]

ومنه قول أبي فراس الحمداني[5]: [مجزوء الكامل]

قُـــــولِي إذا ســـــاءَلتِني وعَيِيـــتُ عـــنْ ردِّ الجـــوابِ
زَيْـــنُ الشَّـــبابِ أبـــو فـــرا سٍ لـــم يُمتَّـــعْ بالشَّـــبابِ[6]

ومما جاء في باب الأدب والحكمة قول إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية)[7] [المتقارب]

فَيَـــا عَجَبـــاً كيـــفَ يُعْصَـــى الإل ـــــهُ أمْ كيـــفَ يجحـــدُهُ الجاحِـــدُ
وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــهُ آيـــةٌ تـــدُلُّ عـــلى أنَّـــهُ واحـــدُ
وللّـــهِ فـــي كـــلِّ تحْريكـــةٍ وتســـكِينةٍ أبـــداً شـــاهدُ[8]

(1) من أشعر المولدين على الإطلاق كان ضريرا نشأ في البصرة وقدم بغداد أدرك الدولتين الأموية والعباسية–الأعلام 52/2
(2) حماسة الظرفاء 137/1 – غرة: غفلة، ولا يشرب الماء إلا بدم: كناية عن عدم الراحة إلا بعد النيل من الأعداء
(3) الوليد بن عبيد شاعر كبير من شعراء العصر العباسي وصف شعره بسلاسل الذهب – الأعلام 121/8
(4) حماسة الظرفاء 144/1 – البز: الثياب والسلاح
(5) الحارث بن سعيد أمير، فارس، شاعر من شعراء العصر العباسي وهو ابن عم سيف الدولة – الأعلام 2 /155
(6) حماسة الظرفاء 192/1 – عييت: عجزت
(7) شاعر مكثر مبدع سريع الخاطر من شعراء العصر العباسي – الأعلام 321/1
(8) حماسة الظرفاء 280/1، 281

ومنه قول أبي عبد الله الهمداني[1]: [البسيط]

لا تظْلمَـــنَّ إذا مـــا كنـــتَ مـــقتدِراً فـالظُّلـــم آخـــرُهُ يـأتيـــكَ بالنَّـــدمِ
واحـــذرْ أُخَـــيَّ مـــنَ المظْلُـــومِ دعوتَـــهُ لا تأْخُـــذَنْكَ ســـهامُ الليـــل فـــي الظُّلـــمِ
نـــامتْ عـــيونُكَ والمظلـــومُ مُنتبـــهٌ يَدعـــو عليـــكَ وعيـــنُ اللهِ لـــمْ تـــنَمِ [2]

ومن باب الكبر والمشيب قول ابن الرومي[3]: [الطويل]

تُعَيِّرُنـــي شَـــيْبي ببيْضـــاءَ نابِتَـــهْ لهـــا لوعـــةٌ فـــي مُضْـــمَرِ القلـــبِ ثابتَـــهْ
ومِـــنْ عَجـــبٍ أنِّـــي إذا رُمْـــتُ نتْفَهـــا نتفـــتُ سِـــوَاها وهـــيَ تضـــحكُ شـــامتَهْ[4]

ومن باب النسيب قول ابن المعتز [5]: [الطويل]

وزائـــرةٍ يقتادُهـــا الشَّـــوقُ طارقَـــهْ أتتْنَـــا مـــن الفِـــردوسِ لا شَّـــك آبقَـــهْ
إذا مـــا تثنَّـــتْ قـــال للـــرِّيحِ قـــدُّها كَـذا حرِّكـي الأغصـانَ إن كنـت حاذقـهْ[6]

ومن باب الأضياف قول أبي تمام[7]: [البسيط]

رأيـــتُ يـَحْـــيى أدامَ اللهُ نعمتَـــهُ يـــأتِي الـــذي مِثلَـــه لـــمْ يأتِـــهِ أحـــدُ
ينســـى الـــذي كـــانَ مِـــنْ معرُوفِـــهِ أبـــداً إلـــى الرِّجـــالِ ولاينْســـى الـــذي يَعِـــدُ[8]

ومن باب الوصف قول ابن الرومي[9] يصف خبّازاً: [البسيط]

مـــا أَنْـــسَ لا أَنْـــسَ خبَّـــازاً مـــررتُ بـــهِ يـــدْحُو الرُّقاقـــةَ مثـــلَ اللمـــحِ بالبَصَـــرِ
مـابيـــنَ رُؤيتِـــها فـــي كفِّـــه كـــرةً وبيـــنَ رؤيتـــها قَـــوْراءَ كـالـــقمرِ
إلا بـــمقدارِ مـــا تَنْـــداحُ دائـــرة فـي صـفحةِ المـاءِ يُرمـى فيـهِ بـالحجرِ [10]

(1) الحسن بن أحمد من بني همدان مؤرخ عالم بالأنساب والفلك شاعر مكثر من أهل اليمن ت334هـ – الأعلام 179/2
(2) حماسة الظرفاء 281/1
(3) علي بن العباس شاعر عباسي رومي الأصل ولد ببغداد ونشأ فيها – الأعلام 297/4
(4) حماسة الظرفاء 343/1 – رام الشيء أي طلبه
(5) عبد الله بن محمد المعتز بالله، شاعر عباسي ولد في بغداد، قصد فصحاء العرب وأخذ عنهم. الأعلام 118/4
(6) حماسة الظرفاء 9/2 – أبق: هرب وتباعد، حاذق: ماهر
(7) حبيب بن أوس الطائي، شاعر عباسي ولد في جاسم بسورية استقدمه المعتصم إلى بغداد وقدمه على شعراء وقته، الأعلام 165/2
(8) حماسة الظرفاء 232/2
(9) سبقت ترجمته ص 14
(10) حماسة الظرفاء 284/2، الرقاقة: عجينة الخبز الرقيقة، قوراء: مستديرة، تنداح: تتسع

وقول أبي نواس[1]: [السريع]

تَســـــمعُ لِلْحَـــــورِ فـــــي كفـــــه ماشـــئتَ مـــن طـــاقٍ و طَرْطـــاقٍ[2]

ولعل من التميز أيضا في هذا الجانب ما نراه في إيراد العبدلكاني لبعض من أشعار جده وأبيه ليصل إلى اختيار من شعره الخاص ونظمه المتميز وقد كان في ذلك محقا؛ فالقارئ للأبيات التي اختارها من شعر جده مثلا يدرك أهميتها وقيمتها الفنية على الرغم من سهولتها وبساطة معانيها.

ومنه ما اختاره في باب المراثي لجده (أبي علي الحسن العبدلكاني)[3] : [البسيط]

وَافَـــى القضـــاءُ بِخطْـــبٍ لا يُلائِمُنـــي يـــاويحَ نفسِـــي ويـــا بُؤســـي لِمَـــا وَافَـــى
أَورَثْتنـــي كَمَـــدَاً أحرَقْـــتَ لـــي كَبِـــداً أدنفْـــتَ لـــي جَسَـــدَاً يـــا مـــوتُ إِدْنافـــا [4]

وفيه أيضا من شعر أبيه (محمد بن الحسن العبدلكاني)[5]: [البسيط]

لا يَشـــمتَنَّ بـــي الأعـــداءُ إنّهُـــمُ ســـيَلْحَقونَ بِـــهِ والغايـــةُ التّلـــفُ
لمّـــا نظـــرْتُ إلـــى التّـــابوتِ قلـــتُ لهـــمْ والقلـــبُ مُحتـــرِقٌ والعقـــلُ مُزْدَهِـــفُ
لا يَـــدفَعُ المـــوتَ عِـــزٌّ لا ولا نشـــبٌ ولا جُيـــوشٌ ولا بِـــيضٌ ولا جُحُـــفُ [6]

ومما أورده من شعره الخاص[7] أبياتا يرثي فيها طاهر بن خلف: [الكامل]

الـــدّهرُ لِلْحُـــرِّ الكـــريمِ خَصِـــيمُ والشّـــرُّ بـــينَ العـــالَمينَ قـــديمُ
لـــيس اليتـــيمُ بمَـــنْ أبُـــوهُ ميّـــتٌ لكـــنَّ مَـــنْ رُزِءَ الصّـــلاحَ يتـــيمُ
لـــو وُفِّيَـــتْ هـــذِي الرَّزيّـــةُ حقَّهـــا لـــم تبـــدُ فـــي أفُـــقِ السّـــماءِ نجـــومُ
وتعـــرّت الأشـــجارُ مِـــنْ أوراقهـــا صـــيفاً وآضَ النَّضـــرُ وهـــو هشـــيمُ[8]

كما يمتاز الكتاب عن حماسة أبي تمام وماتبعها من حماسات أخرى بأنه يختم كل باب بأقوال نثرية وحكم للصحابة وللتابعين وغيرهم من البلغاء، ابتدأها بأحاديث شريفة وأحيانا بالآية الكريمة. **ومثال ذلك ما جاء في آخر (باب الحماسة):**

(1) الحسن بن هانئ شاعر العراق في العصر العباسي ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء، الأعلام 225/2
(2) المصدر نفسه 284/2
(3) الحسن العبدلكاني: هو جد مصنف الكتاب لم يذكره المترجمون سوى الكتبي في فوات الوفيات بتسمية(يوسف)495/1
(4) حماسة الظرفاء 224/1 – الكمد: الحزن الشديد، دنف: دنا وصار قريبا
(5) محمد بن الحسن العبدلكاني: هو والد مصنف الكتاب – يتيمة الدهر 33/2
(6) حماسة الظرفاء 202/1 – النشب: المال والجاه، البيض: السيوف، الجحف: القوس المصنوعة من جلد الإبل
(7) عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني، أديب من الشعراء الظرفاء اصطفاه ملوك خراسان لمنادمتهم وتعليم أولادهم، وكان كثير النوادر سريع الجواب، الأعلام 121/4
(8) حماسة الظرفاء 259/1، 260 الرزية: المصيبة العظيمة، آض: تحول، النضر: الأخضر الناعم، هشيم: المتكسر اليابس

(قال النبيﷺ:(وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة)[1]" ألا إنها الرَّمي، ألا إنها الرَّمي، ألا إنها الرَّمي"[2].

وقال عليه السلام: " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم" [3].

وقال النبيﷺ" اقتنوا الحجور[4]: فإن ظهورها حرز وبطونها كنز"[5]

وكانت درع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، صدرا لا ظهر لها؛ فقيل له لو جعلت لها ظهرا فقال: (إذا وليت ظهري فلا وألت نفسي)[6].

وفي الحديث إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية.}[7]

ومما جاء في ختام (باب المراثي):

{ قال النبيﷺ: (من أصابته منكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإن ذلك يعزّيه)[8].

وقال عند وفاة ابنه إبراهيم: (القلب يُفجع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنَّا بك يا ابراهيم لمحزونون)[9]

وقال يعقوب عليه السلام بعد قوله لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟

وقولهم:(نعبد إلهك واله أبائك..)[10] قال لهم؛ يابني والله ما انتصفت من ظالم لي بيد ولا لسان وما رأيت من أحد حسنة إلا نشرتها ولا سيئة إلا سترتها، فكذلك فافعلوا. قيل لكثير: لم تركت قول الشعر؟ [11]

فقال: ذهب الشباب فما أطرب، وماتت عزة فما أنسب، ومات ابن ليلى فما أرغب.} [12]**ومنه ما جاء في آخر (باب الأدب والحكمة):**

{قالﷺ: (أفشوا السلام، وطيّبوا الكلام، وأطعموا الطّعام وصِلُوا الأرحام، وصلّوا بالليل والنّاس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام)[13].

وقالﷺ: (ألا أخبركم بما يُضاعف الله به الحسنات، ويمحو به السيئات، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء في السَبَرات[14]، ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة، فذلكم الرّباط ، فذلكم الرّباط ، فذلكم الرّباط)[15].

وعن الخطاب عن المعلي فيما أوصى به إلى ابنه:

---

(1) سورة الأنفال، الآية 60

(2) صحيح مسلم بشرح النووي 64/13.

(3) صحيح البخاري 34/4، صحيح مسلم بشرح النووي 17/3.

(4) الحجور جمع حجر وهي (أنثى الخيل) لسان العرب مادة (حجر)

(5) المجازات النبوية –26

(6) وألت: (نجت) – لسان العرب مادة (وأل)

(7) حماسة الظرفاء 182/1

(8) سنن الدارمي رقم 86

(9) الطبقات الكبرى –ابن سعد 88/1

(10) سورة البقرة – الآية 133

(11) روضات الجنات 509

(12) حماسة الظرفاء 263/1، 264

(13) المسند–أحمد بن حنبل 295/2، 324

(14) إسباغ الوضوء: إتمامه، السبرات جمع سبرة يفتح السين الغداة الباردة.

(15) صحيح مسلم 44/1

لا تتخذ الأسواق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا، ولا تعب شيئا مما يقدم إليك من الطعام لقلة خل أو ملح أو زيادتهما، ولا تعلم أهلك وولدك كم عدة مالك فإنهم إن رأوا كثيرا تمنوا موتك، وان رأوا قليلا هنت عليهم. وان قربك السلطان إليه فكن أحذر من عقعق[1] وأروغ من ثعلب، وأره مداراة الصبي وكلمه بما يشتهي، وان ركن إليك فلا تأمن انقلابه عليك. }[2].

ومنه أيضا ما ورد في أخر (باب الأضياف والسخاء واصطناع المعروف):

(خصلتان لا تجتمعان في مؤمن، البخل وسوء الخلق)[3] ﷺ قال النبي

قال: (إن الضيف إذا جاء، جاء برزقه، واذا ارتحل، ارتحل بذنوب أهل البيت)[4]ﷺ وعن أنس عن النبي

وقال الحكيم: لا يزهدنك في المعروف قلته، فإن البخل أقل منه.

(اتقوا النار ولو بشق تمرة)[5]. ويقال بذل الجاه زكاة الشرف.ﷺ مصداقه قول النبي

أكل النبي ﷺ عند قوم فقال:(أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة)[6]

وأكل عند آخرين فقال: أدخل الله عليكم الزين ووقاكم الشين ولا أصابتكم العين)[7]

ومن ذلك ما أنهى به (باب الملح والأشياء المستطرفة):

"إني لأمزح ولا أقول إلا الحق"ﷺقال النبي

وقال أبو الدرداء: (إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو لأقوى به على الحق).

وعن خالد بن يزيد الفهمي قال: "قدمت المدينة من مصر فسألت سعيد بن المسيب عن شيء فأنشدني فيه/ شعرا فقلت: " لقد جئتك من بلد ما في الأرض بلد أشد كراهة منهم للشعر، فقال: أي بلد؟ فقلت: أهل مصر فقال: لقد نسكتم نسكا أعجميا.

وجدت امرأة مربد دينارا فقال لها: هاتيه حتى يلد لك كل جمعة درهما فأعطته فأعطاها جمعة أو جمعتين ثم قال لها: قد مات الدينار فقالت: ويلي دينار يموت! فقال: يا فاعلة تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالموت [8].

إذن التميز عند العبدلكاني كان في الجديد الذي اختلف به عن حماسة أبي تمام عندما أورد أضعافا مضاعفة من الشعر العباسي قياسا بما أورده من الشعر الجاهلي والإسلامي، كما تجلى تجديده أيضا بما تفرد به من إضافة المختارات النثرية إلى جانب الشعرية ليكمل بذلك مفهوم الأدب بشقيه الشعر والنثر؛ مما جعل الكتاب أكثر شمولية من جهة، وأشد فائدة للدارس من جهة أخرى، فيه ينقع غلته، ويبلغ مراده.

فهو يقرن الغرض المراد– عنوان الباب– بما قيل فيه شعرا ونثرا مما يكسب الباحث مادة غنية ثرة يجد فيها الشادي ضالته، ويفسح له المجال المعرفي واسعا.

---

(1) العقعق: نوع من الغربان فيه بياض وسواد تتشاءم منه العرب

(2) حماسة الظرفاء 334/1، 335

(3) سنن الترمذي – رقم 1962

(4) الأحاديث الضعيفة والموضوعة – الألباني – رقم 3604

(5) فيض القدير 138/1 (143)

(6) المصدر نفسه 54/2 (1310)

(7) حماسة الظرفاء 2/ 245، 246

(8) المصدر نفسه 335/2، 339

فالعبدلكاني إذن صنع صنيع أبي تمام في حماسته معتمدا منهجه في التقسيم مستوحيا طريقته في الاختيار، لكنه خالفه في مادة الكتاب هادفا إلى التسهيل على الدارسين كما صرح بنفسه في مقدمة كتابه، أن أبا تمام حين اختار حماسته مال إلى جمع الشعر القديم الجاهلي والمخضرم والإسلامي ولم يأت بشعر محدث إلا ما ندر لذلك جاء كتابه مشحونا بالشعر القديم واللفظ الغريب الذي ينفر منه المتأدبون في عصر المصنف، وقد كان في ذلك مبالغا لاسيما لأبناء عصره في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

فقد أودع العبدلكاني في كل باب من أبواب كتابه مقطعات شعرية تراوح عدد أكثرها ما بين مئة وأربعين إلى مئة وستين (140–160) مقطعة، متجاوزا ذلك في باب الوصف ليورد مئة وتسع عشرة (119) مقطعة وفي باب الهجاء أورد مئة وأربعا وسبعين (174) مقطعة لشعراء قدامى ومحدثين، منها طائفة كبيرة لمعاصريه، وختم كل باب بمجموعة من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والحكم والأقوال المأثورة، ولم يلتزم في الباب الواحد بالترتيب الزمني إلا في مواضع منه معتمدا في تقديم من قدمهم على أصالة الشعر وجودة المعنى.

ولما كان العبدلكاني مؤدبا لأولاد الملوك والأمراء؛ فقد كانت له وجهة نظر تربوية في التعليم ذات شأن، تقوم على الانتقال بالمتعلم من السهل إلى الصعب ومن المعلوم إلى المجهول.

فأراد أن يكثر في كتابه من الشعر المحدث في كل باب من أبواب حماسته مع قليل من الشعر القديم؛ لتعويد المتأدبين على أصالة لغتهم وتدريبهم عليها، وفعلا فإننا لو أحصينا الشعراء العباسيين في باب من أبواب حماسته (كالمراثي) مثلا لوجدنا أنهم(71) واحد وسبعون شاعرا، في حين بلغ عدد الجاهليين (10) عشرة شعراء، والمخضرمين(3) ثلاثة شعراء، والإسلاميين (4) أربعة شعراء.

وفي (باب الأدب والحكمة):

بلغ عدد الشعراء الجاهليين(8) ثمانية، والمخضرمين(1) شاعرا واحدا، والإسلاميين(8) ثمانية. في حين كان عدد الشعراء العباسيين (85) خمسة وثمانين شاعرا.

مما يؤكد حرص العبدلكاني الذي عاش ما بين (ق4–ق5هـ) على الشعر المحدث، فهو يؤمن أن الأدب كالحياة يتجدد ويتطور، والشعر العباسي في زمنه أقرب إلى نفوس المتأدبين المعاصرين له.

أثره النقدي:

بعد الحديث عن مضمون الكتاب ومنهجه لا يمكننا أن نغفل دور (حماسة الظرفاء) الكبير في النقد الذي تجلى باهتمام مصنفها بالنثر إلى جانب الشعر، واعطاء الشعر الحديث قيمته إلى جانب الشعر القديم، واختياره القائم على ذوق خاص رفيع مبني على معرفة دقيقة لجيد الشعر من رديئه، الأمر الذي بدا لنا واضحا عند إسقاطه للكثير من غث الشعر وغريبه وهذا ما لاحظه محقق الحماسة وأشار إليه. كما تميز باختياره لشعراء ـ حتى لأصحاب الدواوين منهم ـ أشعارا لا نجدها في غيره كما نسب من بينها ما عزت نسبته إلى قائليه في كثير من الكتب كما بين المحقق، على الرغم من وجود عديد من المقطعات التي لم يتعرف على قائلها ذاكرا الأبيات في بابها المناسب مسبوقة بعبارة " قال آخر".

مثاله ما ورد في (باب الحماسة) وقال آخر: [البسيط]

اليـــومَ لا جبـــلٌ نلـــوذُ بظلّـــهِ اليـــومَ نتّخـــذُ السّـــيوفَ ظِـــلالَ

اليـــومَ نقطـــعُ زنْـــدَ كـــلِّ مقصِّـــرٍ اليـــومَ نطـــرحُ للنُّســـورِ رِجـــالَ[1]

(1) حماسة الظرفاء 107/1

ومنه في (باب المراثي) وقال آخر: [الكامل]

اصبِـــرْ لكـــلِّ مُـصيبـــةٍ و تجـــلَّدِ واعـــلَمْ بـــأنَّ المـــرءَ غيـــرُ مُخلَّـــدِ
و متـــى تُصـــبْكَ مُصـــيبةٌ تَشْـــجَى بهـــا فـــاذكر مُصـــابكَ بـــالنَّبيِّ مُحمَّـــدِ[1]

ومما جاء في (باب الملح) وقال آخر: [الكامل]

و إذا غَـــلَا شـــيْءٌ عَلَـــيَّ تَركتُـــهُ فيكُـــونُ أرخـــصَ مـــا يكـــونُ إذا غَـــلَا
إلَّا الدَّقيـــقَ فإنَّـــهُ قُـــوتٌ لَنـــا فـــإذا غَـــلَا يومـــاً فقـــدْ حَـــلَّ البَـــلَا [2]

فمن الواضح أن العبدلكاني الزّوزني تابع مسيرة أبي تمام في حُسن الاختيار الشّعري مع ما أضاف إليه من اختيارٍ نثري جيدٍ ليتكامل الأدب بفرعيه، هذا الاختيار القائم على الذّوق السّليم والحسّ النّقدي الدقيق المرتكز على أسس علميَّة فنيَّة وتبويبٍ يُعلّم الدارسين أغراض الشّعر المتنوعة؛ بإفراده لكلّ غرضٍ شعريٍّ باباً خاصّاً، هادفاً من وراء ذلك كلّه إلى هدفين: لغويٍّ، بالتّوجه نحو تهذيب ذوقهم وتقويم ألسنتهم وتدريبهم على الفصاحة المعتمدة على التّراث القديم الأصيل الذي يُحتج به مما يرتقي بلغتهم العربيّة ويزيدهم ارتباطاً بها لتكون فيما بعد خير مُعينٍ لعلماء اللّغة والنّحو والتّفسير يستشهدون بدقّتها وسلامتها مستنبطين منها قواعد اللّغة وما تؤديه من دورٍ وظيفيٍّ شارحين مفرداتها ومصدرها اللّغوي، وهدفٍ آخر معنويٍّ: تجلّى في وضع الدّارسين أمام شواهد في عيون الشّعر العربيّ بأغراضه المتنوعة التي تعكس حياة أجدادهم وبيئتهم التي عاشوا فيها وتاريخهم وأحداث عصرهم ووقائعهم وطباعهم وتقاليدهم لتصبح مادةً للأدباء يُفسّرون معانيها مقتدين بأسلوبها ونصاعة صياغتها وجمال موسيقاها وبراعة صورها وحسن بلاغتها؛ صاقلاً بذلك قريحتهم النّقدية بطريقةٍ غير مباشرةٍ تمثّلت في اختيار نصوصٍ دون غيرها لجودتها شكلاً ومضموناً، صياغةً ومعنىً، طامحاً إلى جعل مادّة كتابه إيجابيّةً يمتد تأثيرها إلى الفكر والأسلوب ليهتدي بها كلّ باحثٍ ودارسٍ، مما كان له الأثر الكبير في تطوير حركة النّقد العربيّ وتعدد اتجاهاته، لتكون كنبتةٍ، زَرَعَ بذرتها أبو تمّام لتنمو وتصبح نضرةً على أيدي من لحقوا به.

فمع تقدّم الزّمن وتّطور التّأليف واختلاف الأذواق نَشأ النّزاع بين القديم والحديث والصّراع حول أساليب الشّعراء الذي اشتدّ حتى صار لكثيرٍ منهم مؤيدون ومعارضون، ووجد المُحدَثون أنفسهم في ضيقٍ وحرجٍ أمام النّقاد الذين لم تعد آراؤهم مجرد استحسانٍ ذاتيٍّ وتذوقٍ شخصيٍّ بل أخذوا يقيمون الدّليل ويُتبعون قولهم بالتّعليل فعُرفت للنّقد أسسٌ وقيودٌ، كما بُدئ بتصنيف كتبٍ نقديةٍ قام معظمها على الموازنة بين شاعرين أو أكثر، وأسلوب نظم الشّعر، بدأت مع القرن الثّالث الهجريّ وبلغت أَوْجها مع القرن الرّابع الهجريّ مثل كتاب(الموازنة بين الطّائيين) للحسن بن بشرٍ الآمدي ق4هـ و(الوساطة بين المتنبّي وخصومه) لعليّ بن عبد العزيز الجرجاني ق4هـ.

(1) المصدر نفسه 203/1
(2) حماسة الظرفاء 316/2

وخلاصة القول: إنّ العبدلكَاني الزّوزني صنّف كتابه(حماسة الظرفاء) متأثراً بحماسة أبي تمام مهتدياً بهديه، معتمداً منهجه، مقتدياً به، مُشيداً بإبداع تصنيفه وبراعة تقسيمه وخطّة اختياره، دون أنْ يمحوَ ذلك شخصيته المستقلّة وأسلوبه الخاصّ ورأيه الجديد المواكب للتّطور؛ مما جعل كتابه صورةً ناطقةً بتقليد مُريدٍ لأستاذه وانتفاعٍ بتوجيهه صاقلاً هذا بروح باحثٍ شغوفٍ بعلمٍ راسخٍ ليُودِع ذلك كلّه في كتابٍ تداخل فيه شعاع التّقليد مع تألّق التّميز.

فكان مشابها لصنيع أبي تمام ومتأثرا به فيما يلي:

- قلد أبا تمام بتسمية كتابه (الحماسة) التي جعلها أول أبواب كتابه.
- رتب الأشعار المختارة في (10) عشرة أبواب وفق الأغراض الشعرية.
- اختار من عيون الشعر العربي الفصيح الجيد لشعراء مجيدين مع الحرص على مناسبته للغرض الذي عقد عليه الباب مما يدل على ذوقه الشعري وسعة اطلاعه وكثرة حفظه.
- كان اختياره لمقطعات وليس لقصائد.
- كتابه ذو أثر نقدي تجلى في اختياره القائم على شاعريته وذوقه وحسه النقدي مما أثر في الحركة النقدية ونقادها في عصره وما تلاه.

أما اختلافه وتميزه فكان في:

- اختيار الشعر السهل لفظا ومعنى ليشجع معاصريه على الإقبال على القراءة والدراسة.
- التزامه ببداية كل باب من أبواب كتابه بقطعة شعرية غالبا ما تكون لشاعر جاهلي؛ وهذا اعتراف ضمني منه بفضل البدايات.
- إيراده لمجموعة من المقطوعات الشعرية فيها خليط من الكلمات العربية والفارسية، وهو نفسه نظم أبياتا منها مما يدل على مدى تأثره بالثقافة الفارسية ومقدرته على تطويع كلماتها لأداء المعنى المطلوب في إطار بحور الشعر العربي التي وضعها الخليل وهي ظاهرة ابتدعت في الفترة ذاتها التي عاصرها العبدلكاني.
- تفرد بإنهاء كل باب من أبواب الكتاب بالأحاديث النبوية الشريفة ثم إتباعها بأقوال للصحابة والتابعين والأقوال المأثورة للحكماء والشعراء المناسبة لغرض الباب الذي أدرجت فيه.
- تعانق في كتابه توأما الأدب (الشعر والنثر) فاكتملت الصورة وصارت أنفع وأجمل وأغنى.

الخاتمة:

وهكذا نجد أنّ حماسة الظّرفاء من كتب التّراث القيّمة التي لم تأخذ حظّها من الاهتمام والدّراسة، وقد هدف هذا البحثُ إلى تسليط الضّوء عليه وإظهار أهمّيته بين الحماسات الأخرى، فهو جوهرةٌ متمّمةٌ لجواهر عقد الحماسات، والتّنبيه إلى ما كان فيه المؤلِّفُ مُقلِّداً مُتأثّراً بمن سبقه، وما جاء به مُتفرّداً ذا خصوصيّةٍ بنّاءةٍ وأثرٍ بارزٍ على الحركة الأدبيّة والنّقدية في زمانه؛ إذ دفعها قُدُماً نحو التّطور والعلميّة ممّا بيَّنَ جِدَّته واختلافه ومكانته البارزة، وفائدته الجُلَّى في مكتبتنا العربيّة النّبع النّر الذي لا ينْضَبُ عبر الزّمان.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين بيروت. لبنان، (8ج) 1984 م.
3. الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، ط عالم الكتب بيروت (2ج) 1964 م.
4. حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، عبد الله بن محمد العبد لكاني الزوزني، تحقيق: د. محمد بهي الدين سالم، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني. بيروت، ط2 2003 م (2 مج).
5. حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، عبد الله بن محمد العبد لكاني الزوزني، تحقيق: الأستاذ محمد جبار المعيبد منشورات وزارة الإعلام العراقية (سلسلة كتب التراث 1973 م).
6. دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن الباخرزي، تحقيق ودراسة: د. محمد التونجي، دار الجيل. بيروت (3ج) ط1 1993 م.
7. ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شرح المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1951م.
8. روضات الجنات، محمد باقر موسى، دار الكتب الإسلامية، طهران 1962م.
9. سنن التّرمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عز الدين ضلّي، عماد الطيار، ياسر حسن، مؤسسة الرسالة ناشرون / 2019.
10. سنن الدّارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: د. مصطفى البغا، ط. دار المصطفى دمشق 2011 م (2 مج).
11. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض (14مج).
12. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط. مطابع الشعب القاهرة، (18ج)، 1959م.
13. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر بيروت، لبنان 2009م، ط1 (2ج).
14. الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1990 م.
15. فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، ط1 دار صادر بيروت (5ج).
16. فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت1971م.
17. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، ط المكتبة التجارية مصر(4ج).
18. لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم)، ط دار صادر بيروت (15ج) 1968 م.
19. المجازات النبوية، الشريف الرضي، دار الكتب الوطنية، بيروت 2007م.
20. مجمل اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: زهير سلطان، ط2 مؤسسة الرسالة بيروت 1986م.
21. المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1، 2001م.
22. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ط2، 1995م.
23. معجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر بيروت، ط2، 1961م.
24. يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، تحقيق أ. محمد محيي الدين عبد الحميد ط. حجازي، القاهرة 1947م.